لمناقشتها هنا: وضع الثقافة في المقاومة الفلسطينية، دور الجماهير في الصراع الوطني، علاقة الادارة السياسية بتلك الجماهير، دور المثقف في النضال الجماهيري، المسافة بين المثقف المرتبط بالجماهير وبين مثقف الادارة.... الى جملة تلك الاسباب يضاف عنصر هام نلخّصه بالشكل التالي: ان انتاج الممارسة الوطنية اليومية روائيا لا يتم الا بعد حين، فكما ان الممارسة، بشكل عام، تسبق النظرية او لا تجد تنظيرها الا بعد حين، فإن النضال الوطني الفلسطيني لن يجد الظاهرة الروائية المرتبطة به الا بعد حين. مع ذلك، فهذا «الحين» ليس مطلقا بل يرتبط بصعود الحركة الديمقراطية الفلسطينية والتي «سوف» تنتج في صعودها، وعيا جديدا قادرا على انتاج وعي روائي موائم.

ان المسافة القائمة بين الممارسة وكتابتها بشكل موائم هي التي تجعلنا نقول اننا نقف امام بدايات الرواية الفلسطينية. وانطلاقا من دراسة ست روايات سأحاول ان ابرهن على وضع هذه البدايات. فما هي هذه الروايات الست؟

بوصلة من اجل عباد الشمس - ليانة بدر:

ان كان النص يفرض منطقه احيانا على القارىء، ويفرض، في الوقت نفسه، شكل المناقشة، فإن رواية ليانة بدر تفرض ذاتها علينا كعمل فني لا «كشهادة ادبية» عن الوضع الفلسطيني. وهذا الوضع لا يتغير ولا يحتاج الى الكلمات، فمنذ اصناف عدة، يسائل الفلسطيني ذاته: «لماذا تأكل جنازير الدبابات اوقات عمرنا دائما؟ ولا تؤرخ ايامنا الا بيوم بلفور وزيارة روجرز ومجازر ايلول؟... عن هذا الوضع تكتب ليانة دون ان توغل في الخطابة والشعارات او تسقط في صنمية الصورة ووهم المقولات. فهي ترصد الوضع كحالة انسانية، او تتعامل معه كإنسان ذي طفولة واشواق واحلام، او لنقل انها ترتد الى الحلم ولغة الطفولة في مواجهة عالم دام محاصر بالنزف والهجرة.

في ازمنة الاضطهاد يذهب الانسان في الحلم ويلجأ الى الذاكرة، يستبدل واقعا بآخر ويحل لغة محل اخرى. وصاحبة «البوصلة» تعيش زمانها وتستبدله، وتحل لغتها محل لغة الواقع المحاصر. لذلك فهي تلجأ الى لغة الذاكرة وتداعيها كي تبني، وفق منطقها، ازمنة مضت وامكنة توارت.

تحكي الرواية زمان «جنان»، و «جنان» ذاكرة، تماثل ذاتها بشعبها وتمضي، وتستعيد في ذاكرتها علاقات فلسطينية او صور تشير الى نماذج او مصائر، وتبقى «جنان» في منطق الكتابة فلسطينية الهوية، وشاهدا على مرحلة، وشريكا في معركة، وانسانا وامرأة تبحث عن الانعتاق والتحرر.

تكمن السمة الايجابية الاولى لهذه الرواية في قدرتها على التخلص من الاوهام - الشعارات التي وسمت معظم الاعمال «الادبية» الفلسطينية وارجعتها الى ركام من الاوراق العاجزة عن امتلاك الحقيقة التاريخية وعن رسم الواقع المادي، وارجعتها بالتالي الى استهلاك اعلامي بسيط مغترب عن الانتاج الادبي في دلالته الحقيقية. لهذا فإن ليانة لم ترسم شخصية «عامر - خاطف الطائرات» كبطل «خارق» او كملاك ذي جناحين، بل كتبت عنه في حزنه واحباطه وأشواقه «البعيدة» اي انها تعاملت معه كحالة انسانية. سمة